الفصل السابع

تحديات تضمين تربية الموهوبين داخل نموذج الاستجابة للتدخل

كلير هاجيز وآخرون

Claire E.Hughes, Karen Rollins, Susan K.Johnsen, Daphne Pereles, Stuart Omdal, Lois Baldwin, Elissa F.Brown, Sherry H.Abernethy, and Mary Ruth Coleman

في العدد الخاص من مجلة الطفل الموهوب اليوم Gifted Child Today صيف عام 2009م، وفي أثناء الإعداد لهذا الكتاب، طُلب من المؤلفين المشاركين التفكير في التحديات التي قد تواجه تربية الموهوبين إذا تم التحرك باتجاه تنفيذ نموذج RtI. ويمكن الاستفادة من هذه التحديات التي طرحها المؤلفون على أنها نقاط حوارية للتخطيط والتفكير.

تحديات لنموذج RtI

عند استعراض التحديات، صنَّفناها تحت ثلاثة عناوين رئيسة: (1) نموذج RtI بصفته تغييرًا عامًّا، (2) تنفيذ نموذج RtI في المدارس والفصول الدراسية، (3) قضايا تنفيذ معينة خاصة بالطلاب المزدوجي الخصوصية.

نموذج RtI بصفته تغييرًا عامًّا

يوجد العديد من المميزات الإيجابية لنموذج RtI التي لا تساعد الطلاب على النجاح فحسب، بل تساعدهم أيضًا على تحقيق إمكاناتهم، وذلك إذا اقترن باتجاه يدمج تربية الموهوبين، لكن نموذج RtI لن يكون ناجحًا إلا إذا نُظر إليه على أنه معالجة شاملة تقتضي تغييرا شاملًا، ولكي يحدث التغيير على مستوى الفصول الدراسية، فيجب أن تتضمن أيضًا دعمًا إداريًّا على

مستوى كل من المدارس والمناطق التعليمية، وإذا لم يُنفذ النموذج بطريقة شاملة، فلن يحقق سوى نجاحًا محدودًا.

هدف البرنامج وفلسفته. يتطلب استخدام نموذج RtI بصفته إطارًا لبرمجة الموهوبين أن تكون البرمجة شاملة وليست حصرية؛ وذلك بسبب تركيز النموذج على الفرز العام والاستجابة النشطة لاحتياجات الطلاب استنادًا إلى التقييم البنائي والمستند إلى المنهج الدراسي، وما زال العديد من برامج الموهوبين وسياسات الولايات تعمل بالنموذج الحصري (Exclusivity) حيث تُقدَّم الخدمات فقط للطلاب الذين يقع استعدادهم أو درجاتهم التحصيلية ضمن مدى أعلى من المتوسط، وسوف يتحدى استخدام نموذج RtI لتصميم سياسة عامة الافتراضات المتعلقة بالتعريفات الضيقة وعمليات التحديد المستخدمة في التعرف على الموهوبين، وسيشمل أيضًا رعاية الإمكانات بصفتها جزءًا من الخدمات؛ إذ يتمثل التحدي الذي يواجه المعلمين والإداريين في تربية الموهوبين في التكيف مع التغيير الهائل في عملية التعرف؛ فقد ظلت لعقود طويلة عملية تحديد مَن الموهوب ومن ليس موهوبًا تمثل الخطوة الأولى في تربية الموهوبين، حيث أصبحت التسمية أو اللقب المدخلَ الرئيس للخدمات والبرمجة، وحين يُظهر الطلاب الخصائص و/ أو السلوكيات المرتبطة بالموهبة، ويكون النظام المدرسي مستعدًّا للاستجابة لتلك الاحتياجات الأكاديمية الموثقة للإثراء و/أو التسريع، فلن يَعُد هناك حاجة إلى التسمية أو اللقب للوصول إلى الخدمات والبرمجة المرتبطة بتربية الموهوبين.

التضمينات المرتبطة بالميزانية والموارد. إذا استُخدِم مدخل RtI في تربية الموهوبين، فسوف يكون لذلك تأثير في الميزانية فيما يتعلق بإعداد المعلمين، والمناهج الدراسية، ومواد التقييم، وتنفيذ البرنامج وتقويمه. ونظرًا إلى

القيود المتعلقة بالميزانية الحالية لتمويل الموهوبين في الميزانية الفيدرالية وميزانيات الولايات، فإنه يظل تخصيص أموال لتربية الموهوبين يمثل تحديًا. وسوف يكون تطوير مداخل جديدة وتعاونية للتمويل أمرًا وجوبيًّا؛ لضمان وجود الموارد اللازمة لرعاية نقاط القوة لدى جميع الأطفال وتقديرها والاستجابة لها، وقد تشمل المداخل التعاونية موارد من: (أ) المخصصات المالية لإثراء فئة (1) Title1، (ب) مخصصات تكنولوجيا التعلم عن بعد، (ج) مخصصات مركز الإعلام لمواد التعلم المتحدية، (د) مخصصات المناهج الدراسية لفصول التعلم الراقي، (هـ) مخصصات التربية الخاصة أو الفقرة (504)[1] للمتعلمين المزدوجي الخصوصية؛ فكما نحتاج إلى تعاون قوي لتقديم الخدمات، فإننا نحتاج أيضًا إلى التعاون لتجميع الموارد والحد من تجزئة الدعم.

القيادة. عند تنفيذ نموذج RtI في منشأة تعليمية، فإنه يجب أن يتعاون جميع العاملين والإدارات بطريقة متماسكة من أجل إنجاح العملية، والأهم من ذلك يجب أن تُوفِّر الإدارة قيادة رشيدة من أجل تشجيع التغيير وتعزيزه، ويجب ألا تأتي هذه القيادة من مديري المناطق فقط، مثل المراقبين أو متخصصي المناهج أو مديري البرامج الخاصة، بل يجب أن تضم أيضًا مديري المدارس، ونواب مديري المدارس، وقيادات المنشأة التعليمية. ويُعدُّ

(1) الفقرة 504 من قانون إعادة التأهيل لعام 1973م هي تشريع أمريكي يضمن حقوقًا محددة للأشخاص المعاقين، وقد اشتهرت الفقرة 504 على نطاق واسع بأنها قانون الحقوق المدنية الأول الخاص بالأشخاص المعاقين. تنص الفقرة 504 (في جزء منها) على: «لا ينبغي استثناء أي شخص مؤهل من المعاقين بالولايات المتحدة الأمريكية ... لمجرد إعاقته أو إعاقتها، من المشاركة في، أو حرمانه فوائد، أو تعرضه للتمييز في ظل أي برنامج أو نشاط خاص بالحصول على المساعدات المالية الفيدرالية، أو أي برنامج أو نشاط تديره أي وكالة تنفيذية أو الخدمة البريدية في الولايات المتحدة». (المترجم)

نموذج RtI نظامًا معقدًا يتطلب رؤية وقيادة قوية وتعاونًا، وعند توافر هذه العناصر، يجب أن يقوم جميع العاملين بأداء أدوارهم في ترسيخ النظام والعمل مع الطلاب، وتكون مهمة المسؤولين الإداريين تيسير التغيير وحل مشكلات المنشأة التعليمية في كل خطوة على الطريق.

التطوير المهني. سوف يحتاج أعضاء هيئة التدريس إلى التدرب على التدريس المتمايز وإستراتيجيات الإثراء لتحسين التدريس للطلاب الذين صنفوا على أنهم موهوبون، وسوف يحتاج المعلمون إلى فهم كيفية توسيع المناهج الدراسية لتحدي هؤلاء المتعلمين، إضافة إلى ذلك يجب أن يحصل قادة المدرسة على التدريب، ويكون لديهم التزام بالمدخل بصفته وسيلة تساعد جميع المتعلمين على التعلم، ومن العناصر الضرورية أيضًا لزيادة القدرة على دعم التغيير، التدريب على RtI والمتابعة طويل الأجل.

تنفيذ نموذج RtI في المدارس والفصول الدراسية

يواجه المعلمون الذين يُنفِّذون نموذج RtI في المدارس والفصول الدراسية تحديات خاصة تتعلق بتمايز المستوى الأول Tier1، والتعاون مع المهنيين والآباء، وتحديد الممارسات المستندة إلى البحث في تربية الموهوبين، وتحديد نقاط تُتَّخذ عندها قرارات لتقديم خدمات أكثر كثافة، وإيجاد إستراتيجيات وأدوات تقييم مناسبة أو تطويرها.

تنفيذ إستراتيجيات متمايزة في المستوى الأول: لكي يكون نموذج RtI مستجيبًا للطلاب الموهوبين، يجب أن يحدث التمايز في المستوى الأول في جميع مجالات الدراسة الأساسية، وبهذه الطريقة يمكن للطلاب الذين لديهم نقاط قوة في أحد المجالات الدراسية وضعف في أخرى، الحصول على

التدخلات المناسبة، وفي حالة الطلاب الموهوبين، قد تشمل هذه التدخلات زيادة العمق والتعقيد للمحتوى، والسير بوتيرة أسرع، والدراسة المستقلة، ووجود خيارات للواجبات وأنشطة أعلى من مستوى الصف، وضغط للمناهج، وواجبات متدرجة وهلم جرًّا، وليس من السهل أن يتكفَّل المعلمون بهذا المدى الواسع من الاختلافات في الفصول الدراسية؛ لذلك يحتاج المعلمون إلى وجود مرونة في مناهجهم وفي الأنشطة التي يستخدمونها داخل الفصول الدراسية، ولن يخاطب المنهج الرسمي مواطن القوة ومواطن الضعف لكل طالب؛ ولذلك من الضروري إتاحة مجموعة متنوعة من المواد المرتبطة بالمناهج الدراسية للمعلمين، بحيث يمكنهم التدخل مع الطلاب كل على حدة.

التعاون. من الضروري أن يقوم الإداريون ومعلمو التربية الخاصة ومعلمو تربية الموهوبين وغيرهم من القائمين على الدعم بمساعدة معلم التعليم العام على تنفيذ التدخلات المتنوعة، وعلى مراجعة معلومات التقييم لتحديد مدى فاعلية التدخلات، وعلاوة على ذلك من الضروري أن يكون هذا الدعم مستمرًّا، وأن يساعد المعلمين على تعلم كيفية إدارة مجموعة واسعة من الاختلافات في الفصول الدراسية؛ قد تتضمن تقنيات إدارة تلك المجموعات استخدام التجميع المرن، ومجموعة متنوعة من الأنشطة، والاحتفاظ بسجل الطالب، ومراكز تعلم ووتيرة سير مرنة، والجدولة، والدراسات المستقلة. ومع دعم المناهج الدراسية والتدريس، يوجد احتمال كبير أن يحدث الدعم المناسب في المستوى الأول، وسوف يتلقى الطلاب جميعهم تدريسًا يتلاءم مع قدراتهم وإعاقاتهم.

الممارسات التدريسية القائمة على البحث. يركز مدخلا نموذج RtI (البروتوكول المعياري وحل المشكلات) مع طلاب التربية الخاصة على

الممارسات القائمة على البحث؛ كي يكون احتياج الطلاب إلى خدمات أكثر كثافة أو خدمات تفوق تلك المقدمة في فصول التعليم العام احتياجًا حقيقيًّا، وليس بسبب أنهم تلقوا تدريسًا غير كافٍ. وتحتاج تربية الموهوبين، كما هو الحال في التربية الخاصة، إلى تحديد واضح للممارسات التي توجد أدلة تدعم استخدامها، وهناك العديد من الكتب في تربية الموهوبين فيما يتعلق بأفضل الممارسات (Callahan & Plucker, 2008; Robinson, Shore, & Enersen, 2007). تتناول هذه الكتب مجموعة متنوعة من المجالات التي تشمل موضوعات؛ مثل: التجميع المرن، وضغط المناهج ومستويات التفكير العليا، وإستراتيجيات تدريسية في مجالات محددة في المناهج الدراسية. كما بادر مجلس (الأطفال الاستثنائيين) The Council for Exceptional Children (2008) بتقديم مشروع لتحليل وتحديد الأدلة التي ينبغي أن تستخدم لدعم ممارسة معينة، وقد وضع المجلس معايير لمراجعة البحوث التي تستخدم تصميمات بحثية خاصة. ومتى تم التحقق من صحة الممارسات، توضع خطط لنشر هذه الممارسات على المعلمين والمدارس، وقد يختار المعلمون أيضًا القيام بدور نشط في تطوير أساس برهاني باستخدام البحث الإجرائي (Action research) في فصولهم.

ويقتضي البحث الإجرائي حل المشكلات بطريقة مماثلة لمدخل الاستجابة للتدخل، حيث تُجمَع المعلومات الأساسية عن التقدم الأكاديمي والسلوكي للطالب، ويُنفَّذ التدخل ويجمع المزيد من البيانات، وتتخذ القرارات بشأن مدى فاعلية التدخل؛ فإذا كان التدخل ناجحًا، فإنه يستمر، وإذا لم يكن كذلك يُنفَّذ تدخل آخر. والبحث الإجرائي لديه القدرة على توليد تدخلات جديدة فاعلة مع جميع الطلاب.

تُمكِّن المساندة البحثية المعلم من اختيار المواد والبرامج وإستراتيجيات التدريس الأكثر فاعلية مع الطلاب الموهوبين، ويتمثل التحدي الذي يواجه أولئك المشاركين في البحوث في جعل هذه الممارسات الفضلى في متناول المعلمين الذين يقدمون خدمات مباشرة للطلاب، وكثيرًا ما يستند المنهج وإستراتيجيات التدريس إلى الرأي أو العادة أو العُرف. ولتشجيع اتخاذ القرارات المستندة على البيانات عند اختيار التدخلات، فإن على الباحثين جعل نتائج بحوثهم مُيسَّرة للممارسين. وبالمثل، فإن الممارسين في حاجة إلى طرح سؤال: هل هناك أي أدلة بحثية تدعم هذه الممارسة؟

وضع نقاط تُتخَذ عندها قرارات بشأن تقديم خدمات أكثر كثافة. إحدى القضايا الرئيسة بين المربين هي تحديد النقطة التي عندها يحتاج الطلاب إلى خدمات أكثر كثافة. متى يُحيل المعلم الطفل إلى التربية الخاصة أو إلى تربية الموهوبين؟ ما الذي يُحدد أن التقدم غير ملائم، أو أنه يتطلب أكثر مما يمكن أن تقدمه الفصول الدراسية في التعليم العام؟ ما التقييمات التي ينبغي استخدامها عند هذا المستوى الأكثر شمولية من التقويم؟ قد يحتاج الطلاب الموهوبون جدًّا إلى تسريع جذري (مثلًا، على الرغم من أنهم طلاب في المرحلة الابتدائية، فإنهم مستعدون لتعلم حساب التفاضل والتكامل)، واستشارات مكثفة (مثلًا، هم مختلفون جدًّا من حيث الاهتمامات والنضج عن أقرانهم في العمر نفسه)، أو قد يحتاجون إلى أنشطة أخرى خارج المدرسة (مثلًا، التلمذة، المسابقات، خيارات التسجيل المزدوج). ويجب وضع إرشادات لاتخاذ القرارات التي تتضمن هذه الأنواع من خيارات التعلم الراقي.

التغييرات في التقييم. عند تنفيذ نموذج RtI ، سوف يتطلب ذلك مراقبة التقدم لتحديد الاحتياجات فيما يتعلق بكثافة التدريس والإستراتيجيات،

ومن الضروري تحديد أدوات التقييم والإستراتيجيات المناسبة لتحديد المعارف المُسَرَّعة والنمو المحتمل للطلاب الموهوبين، وسيتطلب ذلك أن يَستخدم معلم التعليم العام تقييمات تفوق مستوى الصف، مثل هذه التقييمات غير شائعة الاستخدام؛ وذلك لأن الاختبارات الرسمية تتناغم تناغمًا قويًّا مع توقعات مستوى الصف. ويُمثل تضمين تقييمات أعلى من مستوى الصف أو تلك التي تُقيم ما يعرفه الطلاب الموهوبون تحديًا داخل نموذج RtI، ولتحقيق الفائدة المرجوة، سوف يحتاج المعلمون إلى توثيق بيانات التقييم عندما يُحرز الطفل تقدمًا جيدًا يتجاوز المناهج المدرسية المتوقعة، بالإضافة إلى ذلك ينبغي أن تساعد التقييمات الطلاب الذين تم تحديدهم رسميًّا؛ وذلك حتى يمكن توفير الموارد للخدمات الأكثر كثافة.

قضايا خاصة بتنفيذ RtI مع الطلاب المزدوجي الخصوصية

يجب أن يتلقى الطلاب الموهوبون ذوو الاعاقات تدخلات لها تأثير مباشر في المجال الذي يواجهون فيه صعوبة، بالتزامن مع التعديلات التي تتناول مواطن القوة والاهتمامات الفردية لديهم، هذه المجموعة المزدوجة من الاحتياجات تجعل التعرف وتقديم الخدمات أمرًا معقدًا؛ لذا تُلاحظُ القضايا الخاصة الآتية عند استخدام RtI مع المتعلمين المزدوجي الخصوصية:

- إذا لم يكن النظام المدرسي يستخدم RtI على أنه نظام شامل لجميع الطلاب، فلن يكون التسريع الأكاديمي جزءًا من الخيارات الممكنة في عملية الفرز/التدخل، وقد يمثل ذلك مشكلة، ليس فقط للطلاب الموهوبين، بل للطلاب المزدوجي الخصوصية على وجه الخصوص.

- إذا كان النظام يُركز على الطلاب المتعثرين فقط، فعندئذٍ سوف يكون هناك ميل إلى التركيز على الاحتياجات العلاجية للطلاب المزدوجي الخصوصية، بدلًا من وضع التركيز الأكبر على قدراتهم.
- يمكن أن يؤثر نقص الوعي بخصائص الطلاب المزدوجي الخصوصية تأثيرًا كبير فيما إذا كان يتم تلبية احتياجات هؤلاء الطلاب الأكاديمية والاجتماعية والعاطفية.
- قد يبدو مستوى الطلاب المزدوجي الخصوصية عاديًّا جدًّا في بيئة الفصل الدراسي؛ وذلك لأن مواهبهم ومستويات التفكير العليا لديهم غالبًا ما تخفي إعاقتهم، ومن المتوقع أن يقوم الفحص المدرسي الشامل لمواطن القوة والاهتمامات، فضلًا عن الصعوبات الأكاديمية، بتحديد القضايا التي قد تثير القلق، وقد لا يحال الطالب مطلقًا إلى فريق حل المشكلات إذا لم يلاحظ معلم الفصل وجود مشكلات واضحة، كما هو الحال عند وجود إمكانية للتحصيل على نحو أعلى بكثير، أو توقعات بالتحصيل أقل من مستوى الصف في أحد المواد الأكاديمية.
- يلفت العديد من الطلاب المزدوجي الخصوصية الانتباه بسبب تصرفاتهم السلبية، الأمر الذي يؤدي إلى التركيز على السلوك بدلًا من المشكلة الأكاديمية الأساسية التي قد تسهم في السلوك السلبي. وذلك يمكن أن يتعارض مع أي اعتراف بقدرات الطلاب أو مواهبهم.
- إذا تمت العملية بأمانة، واشتملت على اتباع نهج قائم على نقاط القوة، فلا ينبغي أن تمثل هذه القضايا مصدرًا للقلق. ولكن في أحسن الأحوال، قد تكون الأمانة في التنفيذ غير مُتسقة.

أفكار ختامية عن التحديات التي تواجه تنفيذ نموذج الاستجابة للتدخل في تربية الموهوبين

إن التغيير في حد ذاته عملية صعبة، والأكثر صعوبة هو التغيير الشامل أو العام؛ إذ سوف تُغير الأدوار والمسؤوليات، وسوف تُطرح الأسئلة المتروكة من دون إجابة، وسوف يكون من الضروري أن يكون الآباء والأمهات والطلاب على علم واطلاع، والمسؤول الذي يمكنه الاستماع والتعاطف وتعزيز الطاقة سوف يحقق نجاحًا كبيرًا مع تنفيذ نموذج RtI. وما دام هناك طاقة إيجابية وقيادة ناجحة في المكان المناسب، فإن التغيير العام -على الأقل- قد يكون أقل إيلامًا، وسوف تكون النتائج حينئذ— المتمثلة في طلاب أكثر سعادة ونجاحًا — أمرًا يستحق هذا الجهد كله.

فيما يأتي أسئلة قد تحتاج إلى استكشاف لتيسير التغيير العام الذي يتطلبه RtI:

- ماذا سيقدم إطار عمل نموذج RtI لخطة التغيير؟
- كيف يمكن ملاءمة الخدمات الحالية للمتعلمين الموهوبين مع هذا الإطار؟
- كيف يمكن تغيير الأدوار والمسؤوليات؟
- كيف يمكن تخفيف مشاعر القلق حول التغيير العام؟
- ما مستويات التعاون المطلوب ترسيخها؟
- كيف ستعالج احتياجات الأطفال ذوي الإمكانات العالية من الأسر المحرومة اقتصاديًّا والمتنوعة ثقافيًّا ولغويًّا؟
- كيف يمكن توفير متابعة طويلة الأجل للطلاب، ومن سيقدمها؟

- كيف سيُبلغ الآباء بهذه التغييرات؟
- من الشخص الذي يمكن اللجوء إليه للإجابة عن الأسئلة عندما تثار؟

وعلى الرغم من وجود تحديات أخرى، فقد انتهى المؤلفون إلى القول بأن نموذج الاستجابة للتدخل سوف يغير قطعًا وجه التعليم، وأن على حقل تربية الموهوبين أن يختبر مدى مسايرته مع هذه التغييرات.

المراجع

Callahan, C.M., & Plucker, J.(2008).Critical issues and practices in gifted education. Waco, TX: Prufrock Press.

Council for Exceptional Children.(2008).Classifying the state of evidence for special education professional practices: CEC practice study manual. Washington, DC: Author.

Robinson, A., Shore, B.M., & Enersen, D.L.(2007).Best practices in gifted education: An evidence-based guide. Waco, TX: Prufrock Press.